رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

وسائل الإعلام والأزمة الثقافية في بلدان العالم الإسلامي

إعداد

الدكتور رضا عبد الواجد أمين

عميد كلية الآداب بجامعة المملكة - مملكة البحرين

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤ - ٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

٢٨ - ٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م

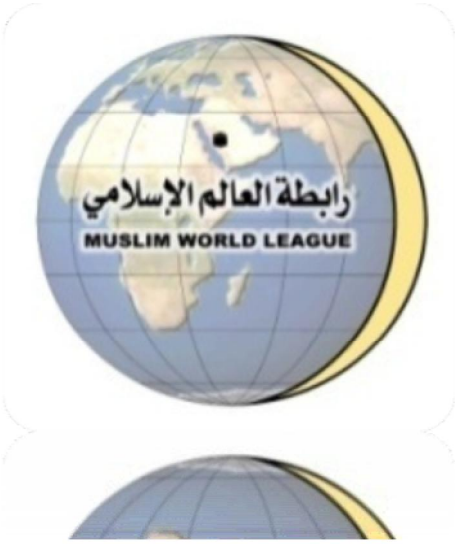

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩- الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

مقدمة

ثمة ارتباط وثيق ما بين الإعلام والثقافة، حيث إن الإعلام ووسائطه المتعددة بمثابة الوعاء الذي يحمل المضامين الثقافية المختلفة، وينقلها إلى الجماهير بشكل مقروء أو مسموع أو مرئي، ومن ثَم تؤثر الثقافة في أي مجتمع في وسائل إعلامه، وتكسبها كثيراً من سماتها، وتتحكم في تحديد المُلائم أو غير الملائم من المضامين الإعلامية في المجتمعات الإنسانية، وهو ما يفسر التنوع في الأنظمة الإعلامية، كما أن الإعلام يؤثر تأثيرات عميقة في البيئة الثقافية من خلال ما يطرحه من مضامين قد تؤثر ليس فقط على عمليات الإدراك؛ بل وتتعداه إلى السلوك.

ووسائل الإعلام كالمرآة التي تعكس الواقع الثقافي الكائن في أي مجتمع، لذا قد يكتسب الواقع الإعلامي كثيراً من سمات الواقع الثقافي، وتأسيساً على ذلك؛ فالإعلام في المجتمعات الإسلامية يختلف عما سواه من المجتمعات، لأنه يعبر عن الهوية الذاتية للمجتمع، وعن أُطره الفكرية والعقائدية، وعن عاداته وتقاليده، والاتجاهات السائدة فيه عن كثير من المتغيرات.

ومن المنطقي - إذا كان الإعلام نابعًا من المجتمع معبراً عنه - أنه إذا كانت لدينا بعض الإشكاليات أو الأزمات الثقافية، أن ينسحب توصيف الواقع الثقافي المأزوم أو الذي يحتوي على إشكاليات إلى الواقع الإعلامي، والعكس صحيح، بمعنى أنه إذا كانت لدينا إشكاليات في الواقع الإعلامي -كالتبعية مثلاً- فإنها تنسحب على الواقع الثقافي.

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة في البحث في إشكالية العلاقة بين كل من الإعلام والثقافة، والتعرف على التأثير المتبادل بينهما صعوداً وهبوطًا، والتعرف على حقيقة اتهام الإعلام بأنواعه؛ بالإسهام في خَلق أزمة ثقافية في بلدان العالم الإسلامي.

تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الورقة أن تقدم إجابات علمية عن التساؤلات التالية:

ما هو التوصيف الدقيق للواقع الثقافي في المجتمعات الإسلامية؟

وهل واقعنا الثقافي مأزوم؟

وما أمارات الأزمة الثقافية التي تمر بها بلدان العالم الإسلامي؟

وما هو دور الإعلام في (تأزيم) الثقافة؟

وما هو توصيف البيئة الإعلامية الراهنة في بلدان العالم الإسلامي؟

وما هي الأدوار التي يمكن أن يؤديها الإعلام للخروج من الأزمة الثقافية؟

منهج الدراسة:

يستخدم الباحث المنهج الاستقرائي الذي هو عملية استدلال صاعد يرتقي فيه الباحث من الحالات الجزئية إلى القواعد العامة، أي من الجزئيات إلى العموميات، حيث يعمد الباحث إلى استقراء الحالة الثقافية والإعلامية الراهنة، ثم المنهج التحليلي لمعطياتها.

الدراسات السابقة:

أجريت العديد من الدراسات حول الإعلام والأزمة الثقافية، منها دراسة (جاسم ولي) عن الصورة وتأثيراتها النفسية والتربوية والاجتماعية والسياسية[١]، حيث توصلت إلى أن هناك طغياناً لثقافة الصورة أدت إلى الهيمنة والاستيلاء ثم الاستعباد الثقافي للعالم العربي، وإسباغ الشخص العربي بشكل الثقافة العالمية الإلكترونية، وانتقدت الدراسة البرامج الموجهة للأطفال في القنوات الفضائية، وتلفاز الواقع، حيث إنها تقدم لهم النموذج الأسوأ للاقتداء، وأشارت إلى أن الاستعمار قد تطور كثيراً من شكله القديم العسكري المباشر، إلى شكله الجديد الذي لا يحتاج إلى الأسلحة التقليدية، لأنه مزود بسلاحه الفتاك الداخلي، أي التنميط الثقافي من خلال آلية صناعة العقل وغزوه ثقافياً بهدف احتلاله؛ فهو أخطر من الغزو العسكري،، بينما ييسّر الغزو الثقافي آليات الإخضاع الداخلي، مما يبدو وكأنه تعمية للحال أو تجميل له، فيُقبل الإخضاع على أنه شيء آخر لالتباسه بمفاهيم تتصل بالتكوين الذاتي، كالنمو والاستقلالية والأصالة والصلابة والسلطة والمناعة والوعي، كما أشارت إلى

(١) د. محمد جاسم ولي، الصورة وتأثيراتها النفسية والتربوية والاجتماعية والسياسية، ورقة مقدمة إلى مؤتمر فيلادليفيا الدولي الثاني عشر بعنوان: ثقافة الصورة (الأردن، عمان، ٢٠٠٧).

أن النشء في العالم العربي يتعرض لتربيةٍ قائمة على الإثارة من جانبين: إثارة التسلية، وإثارة العنف، وهي ثقافة مبنية على عالم المغامرة والمخاطرة والإثارة، بدلاً عن التفكير والتدبر والتميز المعرفي.

وفي السياق نفسه توصلَت دراسة للباحث[١] عن قنوات الأطفال العربية وعلاقتها بتدعيم القيم؛ إلى أن المضمون المقدم في القنوات الفضائية ليس عربيًا خالصًا، فالكثير منه مترجم أو منقول إلى العربية صوتًا (مدبلج)، وهو ما يعني أنه غير متناسب بالضرورة مع الثقافة والبيئة العربية والإسلامية، وأنه يحتوي على كثير من السلبيات كالاغتراب الثقافي والسلوكي، وأن كثيراً من البرامج المستوردة من شركات الإنتاج العالمية الغربية تحتوى على كثير من القيم السلبية، وأهمها تدعيم وزيادة السلوك العدواني لدى الأطفال، ومحاولة تنميط ثقافة الطفل العربي لتتناسب مع ثقافة العولمة التي ربما تصطدم بكثير من مسلَّمات الثقافات المحلية، وغرس الكثير من المفاهيم الأسرية الخاصة بثقافات مغايرة.

وفي دراسة (محمد نور الدين جباب)[٢] عن إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر؛ أكد أن هناك أكثر من فكر في العالم العربي، فهناك الفكر الليبرالي، والقومي، والوضعي الماركسي، والفكر ذو التوجه الديني، وكلها تعكس تصورات مختلفة، لكن وراء هذا الاختلاف والتنوع الفكري؛ قسمة أو

(١) د. رضا عبد الواجد أمين، قنوات الأطفال وعلاقتها بتدعيم القيم الاجتماعية في الوطن العربي، دراسة مقدمة إلى مؤتمر السياسات الاجتماعية للطفولة: الواقع والتحديات، (الإمارات العربية المتحدة: جامعة الشارقة، ١٧-١٨ من مارس ٢٠٠٩م)

(٢) محمد نور الدين جباب، إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر (الجزائر: جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، دكتوراه غير منشورة).

هاجس مشترك يعكس موقفًا مشتركًا يؤرق الفكر العربي، وهو مسألة الهوية الثقافية، وقال: إن المتتبع للنشاط الفكري العربي في الآونة الأخيرة مع بروز العولمة والتحولات العميقة التي أحدثتها، والتصدع الذي ألحقته بالهويات والخصوصيات الثقافية التي لم تعزز التضامن والتقارب بين البشر؛ يدرك أن الإنسان العربي أصبحَت تتجاذبه تيارات فكرية متقابلة زادت من غربته في هذا العالم.

أما دراسة د. علي أسعد وطْفة، مع د. محمد العبد الغفور[١] عن الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة؛ فقد أُجريت على عينة من أعضاء هيئة التدريس في الكويت، وتوصلَت إلى أن الأغلبية ترى أن تعزيز التعليم الديني الإسلامي يمكنه أن يشكل أفضل طريقة ومنهج لمواجهة العولمة بما تنطوي عليه من تحديات ومخاطر، ويرون ضرورة بناء مشروع تربوي إسلامي في مواجهتها، وتوصلت الدراسة إلى أن أصحاب الدرجات العلمية العليا أكثر توجسًا من العولمة من الدرجات العلمية الدنيا.

وبيَّنت دراسة (خيرة الشيباني) بعنوان: هل ابتلعت وسائل الاتصال الحديثة أشكال الثقافة التقليدية[٢] أن الارتباط بين وسائل الاتصال والثقافة يُطرَح عادة

(١) د.علي أسعد وطفة، ود.محمد العبد الغفور، الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة وفرصها، آراء عينة من أعضاء الهيئة التدريسية بجامعة الكويت، بحث منشور بمجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد ٤١ (أبريل - نيسان ٢٠٠٣) ص ١٠١-١٥٩.

(٢) خيرة الشيباني، هل ابتلعت وسائل الاتصال الحديثة أشكال الثقافة التقليدية؟ دراسة منشورة على شبكة الإنترنت، متاحة في الرابط التالي:
http://www.afkaronline.org/arabic/archives/jan-fev2005/nadwa.html
تاريخ التصفح ٢٤ مايو ٢٠١٤م.

بطريقة إشكالية منفصلة كلما طرأ مستحدث تقَني في تكنولوجيات الاتصال؛ في حين أنه - تاريخياً - أحدثت كل الاكتشافات الاتصالية هزات ثقافية، ويمكن القول إن جدل العلاقة بينهما قديم قِدمَ التحوّلات التي شهدتها وسائل الاتصال .

واعتبرت الدراسة أنه من الخطأ- بسبب هذه العلاقة الجدلية- الفصل بينهما شكلياً ومنهجيّاً؛ لأن «هذا الفصل يعيقُنا منهجيًّا عن فهم العلاقة المتحركة بينهما».

وفي «تصنيفٍ انتقائي للثقافة» يعتمده المختصون في سوسيولوجيا الإعلام والثقافة؛ ميّزت الدراسة بين ثقافة النخبة أو ثقافة الإعلام الفسيفسائية، وبين الثقافة الشعبية، واعتبر أن الهوّة بين هذه المستويات تقود إلى الانفصام الثقافي، ودعت وسائل الإعلام إلى أن تستمدّ مضامينها المتَّسقة مع الحياة اليومية للمجتمع، بمقاربةٍ تُزاوِجُ فيها بين وظائفها الرئيسة (الإخبار والتثقيف والترفيه والرقابة على البيئة)، كما دعَتها إلى مواجهة تحديات خارجية وداخلية جمّة ومنافسة شديدة، وهو ما يتطلّب اعتمادها على كل مقومات الثقافة، إضافة إلى أداء وظيفتها في مناخٍ تَسوده حرية الرأي والتعبير، وتشارك فيه كل الكفاءات الوطنية القادرة على الإبداع والتجديد والتواصل مع الآخر، وهو ما يوفّر فُرَصَ انخراطٍ متوازنٍ فيما يصطلح عليه بمجتمع المعلومات.

مصطلحات الدراسة:

الثقافة:

يُعرِّفها مجمع اللغة العربية بأنها العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذقُ فيها[١]، أو هي كل ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملَكة النقد والحكم لدى الفرد أو المجتمع، وتشتمل: المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق وجميع القدرات التي يُسهم فيها الفرد في مجتمعه، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية، ولكل جيلٍ ثقافتُه التي استمدها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية[٢]، والتراث الفكري الذي تتميز به الأمم عن بعضها، حيث تختلف طبيعة الثقافة وخصائصها من مجتمع لآخر، للارتباط الوثيق بين واقع الأمة وتراثها الفكري والحضاري، كما أن الثقافة تنمو مع النمو الحضاري للأمة، وتتراجع مع التخلف الذي يصيب تلك الأمة، وهي التي تعبر عن مكانتها الحضارية بالثقافة التي وصلت إليها[٣].

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط (القاهرة، ط ٢، ١٩٧٢) ص ٩٨.

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي (القاهرة) ١٩٩٧٩) ص ٥٨.

(٣) محمد فيضي، تعريف الثقافة، منشور على شبكة الإنترنت في الرابط التالي:
http://mawdoo3.com
تاريخ التصفح ٢٤ مايو ٢٠١٤م.

الثقافة الإسلامية:

هناك ثلاثة اتجاهات في تعريف الثقافة الإسلامية:

الاتجاه الأول: يرى أن الثقافة الإسلامية مصطلح يعبر عن حياة الأمة الإسلامية وهويتها الدينية والحضارية، وعليه فقد عُرِّفت الثقافة الإسلامية بأنها: «معرفة المقومات العامة للأمة الإسلامية، بتفاعلاتها في الماضي والحاضر؛ من دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة».

الاتجاه الثاني: يرى أن الثقافة الإسلامية مصطلح يعبر عن مجموع العلوم الإسلامية الصرفة أو الشرعية، وعليه فقد عُرِّفت الثقافة الإسلامية بأنها: «معرفة مقومات الدين الإسلامي، بتفاعلاتها في الماضي والحاضر والمصادر التي استقيت منها هذه المقومات».

الاتجاه الثالث: يرى أن الثقافة الإسلامية مصطلح يعبر عن علم جديد من العلوم الإسلامية، ظهر نتيجة التحديات المعاصرة للإسلام والأمة الإسلامية، وعليه فقد عُرِّفت الثقافة الإسلامية بأنها: «معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية، ومقومات الدين الإسلامي»٨، وهناك اختلافات كثيرة حول مفهوم الثقافة الإسلامية كالخلاف حول مفهوم الثقافة ذاته، وأقرب تعريفٍ للثقافة الإسلامية: أنها العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنُّظُم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها.

الأزمة الثقافية:

الأزمة في اللغة: هي الشدة، ويقال: أزمت عليهم السَّنة: أي اشتد قحطُها كما جاء في «مختار الصحاح» فالأزمة، والآزمة: الشدة والضيقة.

الأزمة في الاصطلاح: هي حالة وصول الحل لمشكلةٍ ما إلى طريق مسدود يعيق حلها.

والأزمة الثقافية: حالة من الغموض والالتباس في مجالات الثقافة تحتاج إلى تفسير، نتجت غالبًا عن خلل في أداء بعض الوظائف في المجتمع على الصعيد الثقافي، والأزمة أقل من الكارثة، وكلاهما قابل لاتخاذ التدابير ووضع الخطط لمواجهتها أو التقليل من آثارها السلبية.

الفِصام أو الانفصام:

الفصام (الشيزوفرينيا): شكل من أشكال الاضطراب العقلي؛ يَنتج عن أسباب مادية ونفسية، ويسبب أمراضًا كالهلوسة والضلالات واضطراب الفكر، والفصام الثقافي شكل من أشكال الاضطراب الفكري، وينتج عنه تبلُّد وجداني وروحي وإحساس بالاغتراب، وله أسباب سنوضحها إن شاء الله.

العالم الإسلامي:

هو الدول والمجتمعات التي يغلب على سكانها أنهم مسلمون، ويتوزعون في ٨٦ دولة حول العالم، ويبلغ عدد المسلمين نحو المليار ونصف (خُمس سكان العالَم)، يعيشون في الدول غير الإسلامية، وتتمتع بلاد المسلمين بتنوع مواردها، وأهمها: النفط، والغاز الطبيعي، والزراعة، والصناعة.

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى مقدمة وثلاث مباحث:

المبحث الأول: الواقع الثقافي المعاصر للأمة الإسلامية.

المبحث الثاني: الأزمة الثقافية: مظاهرها، وتحدياتها.

المبحث الثالث: الإعلام والأزمة الثقافية.

المبحث الأول
الواقع الثقافي المعاصر للأمة الإسلامية

الأمة الإسلامية هي التي شرَّفها الله بأن جعلها الخاتمة للرسالات، وخصها بالخيرية في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والواقع الثقافي للمسلمين يتشابك مع الواقع المادي المعاش، سياسةً، واقتصاداً، وإعلامًا، فالحالة الثقافية هي محصلة كل الأنشطة العلمية والفكرية، وهي القيم والموروثات والعادات والتقاليد التي تميز مجتمعًا من المجتمعات، إذ لا يمكن النظر إلى الثقافة باعتبارها عنصراً مجرداً؛ دون دراسة تشابكاتها مع الظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها بُلدان العالم الإسلامي.

وثمة مقارنة بين واقع المسلمين الآن وواقع المجتمعات الغربية ليس في صالحنا بكل معايير المقارنة، صحيح أن كثيراً من القيم والمفاهيم في المجتمعات الإسلامية لا توجد في الغربية، كالعلاقات الاجتماعية الوطيدة، والأسرة المتماسكة، إلا أن كثيراً من أشكال التقدم الاقتصادي والعلمي والتقني تنقص المجتمعات المسلمة، بالإضافة إلى تآكل بعض القيم في المجتمعات الإسلامية بفعل العولمة غربية المركز، والتي تحاول تنميطَ العالم وتوحيدَ معاييره الثقافية.

وبعيداً عن مناقشةِ جدليةِ مدلولِ مصطلح الثقافة، وتأسيسًا على ما قدمناه في تحديد مفاهيم الدراسة؛ يمكن القول إن الثقافة الإسلامية تمتلك العديد من المقومات والأسس التي تجعل منها ثقافة مميزة، تتحقق بتمثلها كل مظاهر

التقدم في المجالات المختلفة، ومن أهم هذه المقومات:

١- أن تراثها الفكري خصب غني، اتسعت آفاقُه لثمار الثقافات الأخرى دون تعصب أو جمود.

٢- أنها تملك مقومات الأصالة في تصورها لجوانب الحياتين الدنيا والآخرة.

٣- أن لغتها الأساس هي العربية، وهي لغة ذات تاريخ قديم متصل الحلقات، سايرت الحضارات على اختلافها، وأشبعت الحاجات على تنوعها، ووفَّت بمتطلبات الدنيا وأركان العقيدة، والذي ينبغي أن نبُرزه هنا؛ أن بين الشعوب الإسلامية وحدة لا تُهزم، وصلِة لا يمكن تفكيكها، ورابطة يستحيل حلُّها؛ مادام في الأمّة كتاب لا يَختلف في نُطق حرفٍ منه اثنان، محفوظ بحفظ الله له، يُتلى آناءَ الليل وأطراف النهار، بلسانٍ عربي مبين، ألا وهو القرآن الكريم.

٤- تمتاز الثقافة الإسلامية بأن الدين مصدر القيم فيها، وليس المجتمع أو الطبيعة أو الفرد أو غيره من مصادر القيم كما ترى ذلك في الفلسفات المختلفة وكما يعتقده المفكرون الغربيون.

٥- وتمتاز الثقافة الإسلامية بالشمول؛ فتتناول حياة الإنسان في كل نواحيها، ظاهرها وباطنها، وأعظم ما تتميز به: قدرتها على العطاء في أي جانب من جوانب الحياة[١].

---

(١) د. وجيه المرسي، مقومات الثقافة الإسلامية، مقال منشور ومتاح في الرابط التالي: http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/407123، تاريخ التصفح: ٢٥ من مايو ٢٠١٤م.

ورغم امتلاكها كل تلك المقومات؛ إلا أن التوصيفات العلمية الدقيقة تقول: إن هناك مُعضلة ثقافية وفكرية في العالم الإسلامي ولأسباب متعددة، هذه الإشكالية ينتج عنها أن الحالة الثقافية الراهنة في البلدان الإسلامية؛ يعتريها الكثير من مظاهر الضعف أمام محاولات الاختراق والهيمنة والغزو، ذلك لأن فضاءنا الثقافي به الكثير من مساحات الفراغ الذي يسمح للآخرين بأن يتمددوا فيه.

يقول محمد الغزالي: «هناك فراغ حقيقي في النفس الإسلامية المعاصرة، لأن تصورها للإسلام طفولي وسطحي، يستقي من عهود الاضمحلال العقلي في تاريخنا، وكأن بينه وبين عهود الازدهار ترَّة، إنني من منطلق إسلامي أرفض التبعية النفسية للآخرين، ولكنني من هذا المنطلق نفسه أرفض التصورات الإسلامية للحياة، أعني التي ينسبها البعض للإسلام؛ وهي عند التأمل خيالاتُ مَرضى وقاصرين»[١].

إذن هناك بعض الخلل في الواقع الثقافي للمجتمعات الإسلامية، ربما مردُّه إلى مسألة الهوية، فلا يمكن الادعاء بأن الهوية الإسلامية هي العنصر الحاكم في المناشط الثقافية في بلدان العالم الإسلامي، بل هناك العديد من الهويات المتجاذبة والمتصارعة حينًا والمتقاربة حينًا آخر.

هناك الهوية العربية والإسلامية التي تلتقي وتفترق في بعض السمات، وهناك الهويات ذات المرجعيات الغربية التي قد تلتقي وتفترق مع الهوية الإسلامية، كالهوية الليبرالية الحداثية، والهوية الاشتراكية، وغيرها من الهويات والمرجعيات التي تعيش في مجتمعاتنا حتى وإن لم تتصدر مشهد الهوية.

---

(١) الشيخ محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، (القاهرة، دار الشروق)، ص٦.

وتواجه الهوية الإسلامية تحديات، منها: تحدي الاجتياح العولمي الراغب في توحيد الأطر الثقافية لبني البشر جميعـًا، وهي الرياح العاتية التي يمكن أن تقتلع كثيراً من الخصوصيات الثقافية من جذورها، وهنا يبرز الفارق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات، حيث إن الثقافة الإسلامية محصّنة ضد الاقتلاع، مستمِدة قوَّتها من العقيدة التي تنتسب إليها، وإلى المقوِّمات التي ترتكز عليها.

وحين قال المهاتما غاندي: (يجب أن أَفتح نوافذي على كل الثقافات؛ شريطة ألا تقتلعني من جذوري)؛ فقد لخص ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة الشائكة بين ثقافةٍ والثقافات الأخرى، لذا يجب لابد أن يوازن العالم الإسلامي بين الانفتاح على الثقافات الأخرى؛ والاعتزاز بالثقافة الإسلامية، حتى لا يتعرض المجتمع الإسلامي إلى الانغلاق والجمود، أو الذوبان والاقتلاع.

لكن المقومات الثقافية والقيم الحضارية التي تشكِّل رصيدنا التاريخي؛ لن تُغني ولن تنفع بالقدر المؤثر والفاعل في مواجهة العولمة الثقافية، ما دامت أوضاع العالم الإسلامي على ما هي عليه في المستوى الذي لا يستجيب لطموح الأمة، ولا ينبغي أن نستنكف عن هذه الحقيقة، لأن في إخفائها والتستر عليها خطراً على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله؛ مما يزيد من تفاقم الأزمة المُركبة التي تعيشها معظم البلدان الإسلامية على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية[١].

---

(١) د. عبد العزيز عثمان التويجري، العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي، بحث منشور على موقع رابطة العالم الإسلامي، متاح على الرابط التالي:
http://www.themwl.org/Bodies/Researches/default.aspx?d=1&rid=37&l=AR تاريخ التصفح: ٢٥ من مايو ٢٠١٤م ص ١٧.

إن الواقع الثقافي للأمة الإسلامية؛ يعتريه الضعف لأسباب متعددة، بعضها داخلي يتعلق بالأوضاع السائدة في المجتمعات الإسلامية (كانتشار معدلات الفقر؛ فثُلث المسلمين في العالم يعيشون تحت مستوى الفقر؛ أي يقل دخلهم سنوياً عن ٣٠٠ دولار أمريكي،، والضعف السياسي بالنزاعات والحروب والصراعات في كثير من الأقطار الإسلامية)، وبعضها خارجي يتعلق بالأخطار والتحديات الزاحفة إلينا (كالعولمة، والغزو الثقافي والفكري).

المبحث الثاني
الأزمة الثقافية؛ مظاهرها، وتحدياتها

هل يمكن إطلاق وصف الأزمة على واقعنا الثقافي؟

وهل نعيش واقعاً ثقافياً متأزماً؟

ذلك ما أحاول الإجابة عنه.

الأزمة: موقف وحالة يواجهها المجتمع أو متخذ القرار في أحد الكيانات الإدارية (الأمة، الدولة، المؤسسة، المشروع، الأسرة)، تتلاحق فيها الأحداث وتتشابك معها الأسباب بالنتائج، ويَفقد معها متخذ القرار قدرته على السيطرة عليها أو على اتجاهاتها المستقبلية.

وهناك علم مستقل بذاته يسمى علم إدارة الأزمات، لكنه مخصص للأزمات التي تقع في مجال الإدارة لشركة أو مؤسسة أو وزارة أو هيئة، أما إدارة أزمة المجتمع الكبير أو الأمّة بمفهومها الواسع؛ فيتصدى لها المفكرون، يقدِّمون إسهاماتهم الفكرية دون تنظيم لهذه الجهود أو التنسيق بين عناصرها أو متابعة تنفيذ خططها المرحلية: التكتيكية منها والاستراتيجية.

مظاهر التحدي في وجه الثقافة الإسلامية:

من هذه المظاهر:

١ - الهجوم على القرآن والسنة، وذلك بالطعن فيهما من جهة ما يلي:

- **من جهة مصدرهما الإلهي**: فالتشكيك في هذه المصدرية الربانية، ونفي النبوة والرسالة وإنكار أن القرآن والسنة وحيٌ بل تأليفات فكرية - كبقية التأليفات البشرية -أبدعها محمد «العبقري»، لا محمد الرسول النبي،

إنما القصد منها التمهيد للقول ببشرية الوحي ونسبيته الزمانية والمكانية، ومن ثَم التمكن من تجاوزه كما يتم تجاوز كل ما هو بَشري تاريخي!.

- **من جهة صلاحيتهما لكل زمان ومكان**: ذلك أن كثيراً ممن أقر بربانية القرآن والسنة؛ شكَّك في صلاحيتهما للإنسان على الدوام، وحاول ربط الأحكام الشرعية بأسباب نزول الآيات وأسباب ورود الأحاديث؛ بقصد الوصول إلى ربط هذين الأصلين بالظرفية التاريخية والاجتماعية التي أنتجَتْهما، حتى إذا ما تغير التاريخ والمجتمع؛ أمكن القول بوجوب تغيير هذه الأحكام، ووجوب الاجتهاد خارج دائرتهما، فيتم التحلل من الشريعة الإسلامية والتخلص منها بطرق عقلية في الظاهر، وهي في الأصل أبعد من العقل، إذ العقل الصريح لا يخالف ولا يناقض النقل الصحيح، بل يؤيده على الدوام ويحتاج إليه باستمرار، ولم يثبت أبداً أن العقل البشري بإمكانه الاستقلال عن تسديدات الشرع الإلهي[١].

٢- الهجوم على التراث الإسلامي:

من حيث هو الموروث الديني الذي ورثه المسلمون عن الرسول ﷺ ومَن بعده مِن الصحابة والتابعين وكل المخلصين، وبذلك فالتراث الإسلامي يتضمن جانبين: جانب الوحي، وجانب المجهود الإنساني الخالص والمخلص لفهم هذا الوحي على أسسه الشرعية وقواعده العلمية، والذي أثمر تلك العلوم الإسلامية التي شكلت النواة الصلبة لميلاد الثقافة الإسلامية وتَجذُّرها

(١) د.الطيب بن المختار الوزاني، تحديات الثقافة الإسلامية ومهدداتها، مقال منشور في موقع الألوكة، متاح على الرابط التالي: http://www.alukah.net/Culture/0/9924/ ، تاريخ التصفح: ٢٥ مايو ٢٠١٤م.

اجتماعياً واستمرارها تاريخياً، وتركز الطعن في هذا التراث في القول بنسبيته الزمانية والاجتماعية، وارتباطه بعوامل تاريخية أفرزَته، دون التمييز في هذا التراث بين ما هو إلهي المصدر كالقرآن والسنة، وبين ما هو بَشري المصدر ككل ما أنتجه المسلمون في تفاعلهم المزدوج مع الوحي الإلهي والواقع البشري.

٣- الهجوم على اللغة العربية:

وهو هجوم قديم ازدادت حِدَّتُه مع سقوط العالم الإسلامي في يد الدول المستعمرة، وتأجيج الحركات الانفصالية العرقية والقوميات الضيقة، ودعم اللهجات المحلية وتطعيمها بطابع الحقد والصراع، وتشجيع اللهجات العامية للقضاء على اللغة العربية الفصحى، وتشجيع تعليم اللغات الأجنبية ودعْمه بكل الوسائل والإمكانات لتصبح تلك اللغات وسيلةً للترقي الاجتماعي في البلدان العربية والإسلامية

٤- الهجوم على المؤسسات الثقافية والرموز الثقافية:

المؤسسات الثقافية هي الوسائل التي بها تحافِظ الثقافة على وجودها واستمرارها، وتضمَن بواسطتها صياغة نفسها بشكل يتناسب مع التغيرات والتطورات الزمانية والاجتماعية.

ومن أبرز المؤسسات الثقافية في هذا المجال، والتي تم توجيه السهام إليها؛ ما يلي:

أ- الأسرة:

فقد تم اختراقُها وتغييرُ مفاهيمها، ابتداء من بنيتها إلى وظائفها فمكوناتها فعلاقاتها، فتغيرت مفاهيم الأبوّة والأمومة والبُنوة والزوجية، وتغيرت معها

الوظائف والأدوار والمسؤوليات، وتغيرت مفاهيم الحقوق والواجبات داخل الأسرة، ولم تعُد الأسرة مسؤولة عن تربية الأجيال وإكسابهم ثقافتَهم وقيمها الفكرية والفنية والسلوكية، وإنما تدخّلت في ذلك جهات اتخذت من نفسها شريكًا للأسرة في التنشئة الثقافية بمنظور يختلف، كالإعلام والمدرسة والجمعيات والأندية الرياضية وجماعات الأصدقاء، كما عمَدت بعض المنظمات الدولية إلى محاولة إجبار كافة الدول- ومنها الإسلامية- على تنميط مفهوم الأسرة وفقًا للمفهوم الغربي الليبرالي، وذلك من خلال عدد من المنظمات والاتفاقات الدولية، لعل آخرها اتفاقية (سيداو).

ب- المؤسسات التعليمية:

شكّلت المؤسسات التعليمية أهم القنوات التي تمر منها الثقافة إلى الأجيال اللاحقة، وقد تم تركيز الاهتمام عليها بتغريب مضامينها ومناهجها الإسلامية وتغييب مقاصدها الحقيقية، فحادَت كثير من المؤسسات التعليمية عن رسالتها التربوية والتوجيهية.

ج- المؤسسات العلمية والدينية:

وُجّهت لهذه المؤسسة ولهذه الرموز طعنات قاتلة، تمثلت في فصلهم عن الحياة الاجتماعية وعن قيادة الجماهير، كما تم تقزيم سلطتهم إلى أقصى الحدود، حتى صار الناس لا يعرفون عن هذه المؤسسة ولا عن رموزها شيئًا، فكانت الطعنة خطيرة؛ لأنها توجهت لجهاز المناعة في الجسم الثقافي للأمة[1].

(١) المرجع السابق نفسه، بتصرف.

٥- الغزو الفكري:

هو محاولة السيطرة على العقول بطرق غير عسكرية لتحقيق مجموعة من الأهداف، على رأسها: إضعاف الثقافة المحلية، وفقدان الأمة للثقة في مقدَّراتها وإمكاناتها، وهذا أخطر بكثير من الغزو المسلح، فالغزو المسلح ظاهر للعيان، ويمكن مواجهته بوسائل المقاومة المختلفة في الميدان، أما الغزو الفكري أو الثقافي فيدخل بلادنا بأسماء برَّاقة -كالحداثة والتمدّن- ويجهل خطرَه الكثيرون.

٦- العولمة

وهي ظاهرة حديثة نسبيًا تشير إلى محاولات تصغير العالم ودمجه، من خلال التقليل من أهمية الحدود الجغرافية والسياسية، وتتيح إمكانية الاتصال والتواصل بين الأفراد والمجتمعات، وقد نشأت في مجال الاقتصاد وتعدّته إلى المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وساعد على انتشارها ثورةٌ تكنولوجية واجتماعية ورغبة سياسية، تمثل جوانبُها هيمنةً للقيم الغربية بصفة عامة، والأمريكية بصفة خاصة[١].

وكما تنطوي العولمة على الكثير من المخاطر على الثقافة الإسلامية؛ إلا أنها تحتوي أيضًا على الكثير من الفرص التي يمكن من خلالها أن تُقدَّم الثقافة الإسلامية إلى العالم، وذلك إن أحسن المسلمون استغلال كل الإمكانيات التي تنطوي عليها العولمة.

---

(١) د. رضا عبد الواجد أمين، الإعلام والعولمة (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص ٥٦.

المبحث الثالث
الإعلام والأزمة الثقافية في بلدان العالم الإسلامي

الإعلام في الأصل: تزويد الجماهير بالمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم في تكوين رأي عام صائب في قضية من القضايا أو واقعة من الوقائع، لكنَّ الناظر في حال وسائل الإعلام المعاصر؛ يدرك أن بعضها يزود الجماهير بمعلومات غير صحيحة؛ إما تهاونًا في التحقق من المصدر، مع أن الله تعالى يشدد على مسألة التثبت في نقل الأخبار، وتبين الصحيح من غير الصحيح منها، بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وإما تقوم بنشر المعلومات غير الصحيحة عن قصد وتدبير ووفق استراتيجيات مسبقة، يتم التخطيط لها، ورصْد الميزانيات الضخمة لتمويلها.

وبالتالي يختلف الأثر المرجو من التعرض لوسائل الإعلام، فبدلاً عن التنوير يحدث التضليل والتزييف للرأي العام، وقد يؤدي ذلك إلى الانسلاخ عن جذور الثقافة السائدة في المجتمع، فتكون عاملاً من عوامل إحداث الأزمة الثقافية بدلاً عن أن تكون أداة من أدوات ازدهار ونماء الثقافة في المجتمع.

والتسليم بوجود أزمة ثقافية في المجتمعات الإسلامية حاليًا؛ لا يعني أن وسائل الإعلام وحدها هي المتسببة في إحداثها، بل عوامل متعددة أحدثت هذه الأزمة، منها سياسي، واقتصادي، واجتماعي، وبعضها يرجع إلى الأداء السلبي لوسائل الإعلام وتأثيراته السلبية علي ثقافة المجتمع.

وسأستعرض فيما يلي؛ الأنماط المتعددة لوسائل الإعلام، مقترنًا بمكمن الخطورة في كل منها:

أولاً: الصحافة: هي أولى وسائل الإعلام الجماهيرية ظهوراً، وقد تطورت بشكل كبير، وظهرت الصحافة الإلكترونية التي تتسم بالتفاعلية والفورية والعمق المعرفي، وبالرغم من ذلك فإن المشهد الصحفي في بلدان العالم الإسلامي يتسم بما يلي:

١- غالبية الأخبار المنشورة في الصحف في العالم الإسلامي غربية المصدر، حيث إن سوق الأخبار عالمياً تسيطر عليه أربع وكالات عالمية تتحكم في تدفق الأخبار حول العالم، وهي:

- وكالة رويترز البريطانية.
- وكالة الأنباء الفرنسية Agency France Press(AFP).
- وكالة الأسوشيتدبرس الأمريكية Associated Press (AP).
- وكالة يونايتد برس إنترناشيونال الأمريكية United Press International (UPI)

وكنتيجةٍ لذلك؛ نجد كثيراً من المفاهيم الخاطئة التي تنقلها الصحف من هذه الوكالات، كلصق الإرهاب بالإسلام، ووصف دولة الاحتلال الإسرائيلي بالديمقراطية، وشرعنة الممارسات العسكرية الغربية والأمريكية، وبشكل خاص في البلدان الإسلامية.

٢- غياب أو قلة المضمون الصحفي الذي يهدف إلى تنمية المجتمعات الإسلامية والارتقاء بها، في مقابل نقل الأخبار التي تهتم بها الصحف الغربية، كأخبار ممثلات وممثلي السينما الغربية، التي تمتلئ بها صفحات الصحف التي تَصدر في بلدان العالم الإسلامي.

٣- ضعف الهياكل التمويلية والإدارية لكثير من المؤسسات الصحفية التي تصدر في العالم الإسلامي، وبالتالي عدم قدرتها على منافسة

المؤسسات الصحفية الغربية العملاقة التي يمتلك بعضها شبكة مراسلين في معظم دول العالم.

٤- انخراط كثير من الصحف الصادرة في العالم الإسلامي - بقصد أو دون قصد - في نقل وترجمة الأخبار التي تُسوق للصورة الذهنية الإيجابية للغرب، كالأخبار الخفيفة التي لا تخلو الصفحات الأخيرة منها، والتي قد تتمحور حول اهتمام المجتمعات الغربية بالحيوان وجمعيات الرفق به، أو نشر نتائج الدراسات العلمية التي تتعلق بمناحي الحياة المختلفة.

٥- جنوح بعض الصحف في بلدان العالم الإسلامي إلى اعتماد أسلوب الإثارة في عرض الموضوعات والمضامين الصحفية، التي تدور حول الفضائح والجنس والثروة، وبالرغم من عدم توفر صحف إباحية صريحة مرخصة في البلدان الإسلامية؛ إلا أن كثيراً من الصحف والمجلات الغربية التي تعتمد على الإثارة؛ توزع في بلادنا بشكلها الورقي، فضلاً عن إتاحة مضمونها في مواقعها الإلكترونية، فأكبر دولة إسلامية في العالم (أندونيسيا) سمحت لمجلة بلاي بوي الجنسية الأمريكية بطباعة نسخة أندونيسية من المجلة المذكورة وتوزيعها في الأسواق الأندونيسية !(١).

(١) البوابة: بلاي بوي تدخل أكبر دولة إسلامية، (فبراير ٢٠٠٦م)، ورابط الخبر على شبكة الإنترنت: http://www.albawaba.com/ar/

ثانياً: الإعلام المسموع والمرئي في العالم الإسلامي والأزمة الثقافية:

شهِد الإعلامُ المسموعُ والمرئيُّ (المذياع والتلفاز) تطوراً مذهلاً خلال العِقد الأخير من القرن العشرين وحتى الآن، وانتشرت الأقمار الصناعية لتحمل آلاف القنوات الإذاعية والتليفزيونية التي تشغل حيِّزنا الإعلامي، وكان المفترض أن يتواكب مع انتشار القنوات الإذاعية والتليفزيونية؛ ازدهارٌ ثقافي ومعرفي في بلدان العالم الإسلامي، لكنَّ كثيراً من الباحثين والكُتاب يوجّهون سهام النقد لهذا القطاع الإعلامي أن عليه الوزر الأكبر في إحداث الأزمات الثقافية في بلادنا، وانطلاقاً من ذلك؛ فإن أبرز ملامح المشهد الإعلامي السمعي والبصري السلبية ما يلي:

١- الخَلل في التبادل الإخباري كما في الصحافة، فالوارد إلينا من الغرب أكثر بكثير من الوارد إليهم عنا ومنا، وبالتالي اعتمدت نشرات الأخبار على الأخبار الواردة من الوكالات والمصادر الغربية التي تتضمن رؤيتهم لتلك الأحداث وفق معاييرهم الخاصة بهم، وفي بعض الأحيان تنقل وسائل إعلامنا ما يدور في بعض بُلدان العالم الإسلامي عن الوسائل الغربية.

٢- بث ساعات مطولة للبرامج والأعمال الدرامية الغربية أو ترجمتها إلى اللغة المحلية بعد شراء حقوق البث من المؤسسات المنتجة لها في الغرب، وبعض هذه الأعمال تحمل ألفاظاً شركية: كإطلاق اسم الإله على بعض القوى الخارقة في العمل الدرامي، أو تدعو إلى قيم منافية للقيم الإسلامية بشكل فج، وفي برامج الأطفال دعوة إلى حرية العلاقة بين الجنسين، والترويج لزنا المحارم، والدعوة لاعتناق القيم السلبية كالمكر والخداع كما في حلقات (توم وجيري).

٣- محاكاة البرامج الغربية التي تتعارض مع القيم والثقافة الإسلامية، حيث تعج بعض قنواتنا بالبرامج الأمريكية التي تدعو إلى العنف والجنس، أو تقوم بعض المؤسسات الإعلامية في البلدان الإسلامية بإنتاج نسخة عربية من برنامج غربي، كبرامج اكتشاف المواهب الغنائية، أو اكتشاف الراقصين والراقصات، أو برامج تليفزيون الواقع التي تقوم على التصوير الحي المباشر لشبان وفتيات يسكنون في مكان واحد، ونقل علاقاتهم العاطفية وربما الجنسية عبر هذه البرامج.

وهذه البرامج من أخطر ما يهدد القيم الإسلامية والتربوية في مجتمعاتنا، حيث إنها تعمل على الإضرار بالثقافة السائدة، وتجميل بعض الممارسات الغربية المتنافية مع قيم ديننا الحنيف ومع ثقافتنا الإسلامية والعربية، وبمرور الوقت تكرس هذه النوعية من البرامج لقيم دخيلة على مجتمعاتنا، وتدعم في أذهان البعض أن هذه الممارسات غير مستهجنة وغير مستقبحة، بل وينتمي أصحابها إلى الفكر المتحرر والتحضر والتمدن.

٤- الإعلانات التجارية المنتشرة بكثافة في المحطات الإذاعية والتليفزيونية، والتي يروج معظمها للسلع الاستهلاكية، فتسهم هذه الإعلانات في تحويل المجتمعات المسلمة إلى مجتمعات مستهلكة لا منتجة، معتمدةً على عناصر الجذب والتشويق والإبهار والمبالغة لإقناع الجماهير بشراء السلعة أو الخدمة المعلن عنها، كما أن بعض هذه الإعلانات يتجاوز المبالغة إلى الكذب، وبعضها يمتهن المرأة جسدياً بغرض الترويج لبعض المنتجات، فضلاً عن احتواء البعض الآخر على مشاهد تتصادم مع القيم السائدة في بلدان العالم الإسلامي.

ثالثاً: شبكة الإنترنت:

أحدثَ ظهورُ (الإنترنت) ثورة معرفية في مجال الاتصال والإعلام، وتغيرت مفاهيم كثيرة تتصل بالاتصال، وصارت علامة بارزة للعصر الذي نعيشه، حيث صارت أهم سمات التطور التكنولوجي في التاريخ، وصارت عبارة (عصر الإنترنت) وصفاً دقيقاً لأهم منجزات العصر الحديث.

لقد غير الإنترنتُ العالمَ، ومثَّل ظهورُه في أواخر الستينيات من القرن العشرين، ثورةً أطاحت بمفاهيم ونظريات ظلت قائمة لسنوات عديدة، ولا غرابة في أن تظهر توقعات تشير إلى قرب انتهاء حضارة الورق لتحل محلها (حضارة الوسائط المتعددة والاتصال الجماهيري التفاعلي)[(١)].

ولا شك أن الإنترنت بإمكاناته الهائلة؛ يمكن استثماره في الدعوة الإسلامية وتبليغ الرسالة الخاتمة للعالمين بالحكمة والموعظة الحسنة، فهي أداة تواصل، ووسيط يحمل المضمون المراد تبليغه.

لكن الإنترنت أيضاً ينطوي على الكثير من المخاطر والإشكاليات ذات الصلة بالشأن الثقافي، ومنها:

١ - انتشار المضمون الإباحي على شبكة الإنترنت

إذ تبلغ عدد الصفحات الإباحية ٤ مليون و٢٠٠ ألف صفحة حول العالم، منها ١٠٠ ألف صفحة عن الأطفال، وكثير من الدول العربية تحتل المراتب الأولى عالمياً في طلب المواقع الإباحية[(٢)].

---

(١) د. حسني محمد نصر، الإنترنت والإعلام.. الصحافة الإلكترونية(العين:مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع،٢٠٠٣) ص ١٣.

(٢) موقع mbc.net خمس حقائق لا تعرفها عن المواقع الإباحية (١٧ من سبتمبر ٢٠١٢م)، متاح على الرابط التالي:
http://www.mbc.net/ar/programs/kalam-nawaem/news/articles/

ويمثل المضمون الإباحي التهديد الأخطر على المكون الثقافي في المجتمع والنسَق القيَمي والأخلاقي، فيدمر الوقت، ويقضي على العلاقات الاجتماعية، ويرسخ مفهوم الانفصام الثقافي (الشيزوفرينيا الثقافية) في المجتمعات الإسلامية التي ينبغي تمثُّل القيم الإسلامية والأخلاقية السامية فيها وِفق ما حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بينما أكثر بحثٍ على الإنترنت في بعض البلدان الإسلامية؛ عن كلمة (الجنس) ومرادفاتها باللغات الأخرى.

٢- ضَعف المضمون العربي على شبكة الإنترنت:

حيث يمثل المضمون العربي على شبكة الإنترنت: ٣٪ فقط من المحتوى المتوفر على الشبكة، رغم أن اللغة العربية هي اللغة السادسة على مستوى العالم من حيث الانتشار، كما أصدرت شركة جوجل تقريراً ذكرت فيه أن إجمالي ما يقدمه العرب من محتوى إلكتروني في شبكة الويب؛ يقِل عمَّا تقدمه دولة التشيك في أوروبا التي لا يتجاوز عدد سكانها ١٢ مليون نسمة[١]، وتمثل عملية إتاحة المعرفة مدخلاً مهماً للازدهار الثقافي والفكري، وذلك بالرغم من وجود مشروعات كبيرة مثل إتاحة الموسوعات العلمية المتوفرة باللغة العربية على شبكة الإنترنت.

٣- سهولة الإساءة لمقدسات ورموز الدين الإسلامي على شبكة الإنترنت:

تعُجُّ شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بالعديد من الإساءات للدين الإسلامي والقرآن الكريم والرسول الكريم ﷺ، وهو ما يتسبب في عداء بين المسلمين والآخرين.

---

(١) جوجل: المحتوى العربي على الإنترنت أقل مما تبثه دولة التشيك (٢٠٠٩م) متاح على الرابط التالي:

http://www.hrdiscussion.com/sitemap/t-6992.html

وترجع أسباب تعرض رموز الدين الإسلامي للإساءة للأسباب التالية:

١- الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا) ونبيه ﷺ، ومعنى (الإسلاموفوبيا): الخوف والهلع المبالَغ فيهما وغير المبررين من الإسلام والمسلمين، وهي ظاهرة يُروَّج لها بين حين وآخر من قِبَل قادة الرأي وصانعي القرار في المؤسسات الغربية للترويج لصورة ذهنية نمطية غير حقيقية عن الإسلام ونبيه والمسلمين، لتكون ذريعة للتحامل عليهم، وللضغط على الأقليات المسلمة في البلدان الغربية في مواجهة المد الإسلامي المتنامي في تلك المجتمعات بالرغم من كل محاولات النيل والتشهير بالدين الإسلامي ورموزه، وهي حقيقة يعترف بها من يؤمن بنظرية المؤامرة أو لا يؤمن بها، ويتعرف عليها كل راصد لتصريحات بعض المسؤولين في الغرب، وبعض الممارسات والتدابير التي يتم من خلالها التضييق على الأقليات المسلمة أو حتى التعرض لهم بالإيذاء المباشر أو غير المباشر.

وتلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً مهماً لترسيخ مفهوم الإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية، بحكم تأثيرها الكبير ودورها المتزايد في تلك المجتمعات، إلا أن المسلمين يمكنهم بوسائل إعلامهم؛ القيام بصد الهجمات والحملات المغرضة على الإسلام والمسلمين، بتوضيح الحقائق وإعادة رسم ملامح صورة المسلمين، وتوصيل صورة الإسلام الناصعة للعالم بالحكمة والموعظة الحسنة، للحد من آثار الإسلاموفوبيا في الإعلام الغربي الذي يعتمد على الوسائل المستحدثة في الإعلام للترويج لهذه الحملات، موفرة بذلك غطاءً للقطيعة والصدام الحضاري والثقافي بين أتباع الثقافات المتعددة.

٢- الحقد على الإسلام: من أعدائه من اليهود والنصارى واللادينيين، وعدم رضائهم عن الإسلام ورسوله، وهذا ما سجله القرآن الكريم حين قال تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ

﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ومن أبشع مظاهر حقد الغربيين على العرب والمسلمين: ما مارسوه ويمارسونه يومياً من مظاهر الظلم والاعتداء على حريّة الفرد العربي المسلم وكرامته، تلك الحرية التي كفلتها كل القوانين والشرائع الأرضية والسماوية، أبسطها: حرية العيش الآمِن في الوطن دون ضغوطات أو تهديدات خارجية، وحرية اختيار طريقة الحياة بما ينسجم مع العقيدة والتراث العربي والإسلامي، وحرية الكتابة والنقد وإبداء الرأي وتداول السلطة بصورة سلمية دون أية عُقد أو تداعيات أو مؤامرات(١).

وأيًّا ما كانت لغة الخطاب عن موضوع حقد الغرب على الشرق، أو حقد غير المسلمين على الإسلام ورموزه ونبيه ﷺ، وتنوعها ما بين مُغالٍ مفرط في تمثُّل نظرية المؤامرة، وما بين منصف معتدل؛ فإن هذا الحقد ثابت، والإساءة للقرآن الكريم ولرسول الله ﷺ؛ تنفيسٌ عن هذا الحقد وتعبيرٌ عنه.

٣- العداوة الأزلية بين الحق والباطل، والخير والشر، والكفر والإيمان، فهُما أبداً لا يلتقيان، وأول مظاهر العداوة بين الحق والباطل: العداوة بين الإنسان والشيطان، حين رفض الأخير الانصياعَ لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ

(١) د. فواز القاسم، الحقد الغربي على الإسلام، منشور في موقع العرب نيوز، ورابطه:
http://alarabnews.com/alshaab/2004/30-04-2004/4.htm
تاريخ التصفح ١٢-١-٢٠١٣م.

﴿ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٣٣-٤٢].

وهذا الصراع مستمر ذو فصول، ولن ينتهي إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

٤- الجهل بحقيقة الإسلام ونبيه ﷺ، والإنسان عدو ما يجهل، إذ يتلقى غير المسلمين معلوماتهم عن الإسلام ونبيه ﷺ؛ من مناهج التعليم ووسائل الإعلام وغيرها من الوسائل التي ترسم صورة ذهنية مغلوطة عن سماحة الإسلام ورُقيِّه ورِفعة منظومته القيَمية والأخلاقية، والدليل أن مَن يتجرد عن الأهواء ويطَّلع على المصادر الصحيحة عن الإسلام والرسول، ثم يقوم بدراسة موضوعية عن النبي ودينه، يصل في كثير من الأحيان إلى مرحلة الإكبار لهذا الرسول العظيم، أو إلى ما هو أبعد من ذلك، وهو الإيمان بأنه نبي هذا الزمان وأنه يجب اتباعُ دينه[1].

دور الإعلام في الخروج من الأزمة الثقافية:

للإعلام تأثير كبير في المجتمعات، وقد يكون سببًا في إحداث تأثيرات سلبية تضر بقيم المجتمع وتقاليده، وتنال من الثقافة العامة السائدة فيه بالتسطيح أو التغريب أو التأزيم، ويمكنه كذلك أن يكون أداةَ بناءٍ تُرمّم ما تآكَل

(١) د. رضا عبد الواجد أمين، الإساءة لنبي الإسلام ﷺ في وسائل التواصل الاجتماعي وسبل مواجهتها، دراسة مقدمة إلى المؤتمر العالمي عن الرسول ﷺ (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٤هـ/ - ٢٠١٣م) ص ١٧-١٨.

من القيم، وتَحُث على التمسك بالهوية الإسلامية المميزة في العالم الإسلامي، وقد ذكر الله تعالى دورَ وتأثيرَ الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

ولابد من أن نسلِّم أنه من الظلم أن تتحمّل وسائلُ الإعلام وحدها مسؤولية الوصول للأزمة الثقافية في بلدان العالم الإسلامي، فما هي إلا نِتاج لتفاعلاته، ومُخرج من مخرجاته، ومع ذلك فإننا نقدم هذه المقترحات لوسائل الإعلام على اختلاف أنواعها؛ للإسهام في إحياء الهوية الثقافية، والتقليل من الآثار السلبية على ثقافة المجتمع، وليس المقصود بوسائل الإعلام هنا ما تعارف الباحثون على تسميته بـ(الإعلام الإسلامي) الذي ينصرف إلى بِضع صحف تسمي نفسَها صُحفاً إسلامية، وعشرات القنوات الفضائية والأرضية الإذاعية والتليفزيونية التي يسمونها (القنوات الدينية)؛ بل لابد من إجراءاتٍ وميثاق شرف تلتزم به كافة الوسائط الإعلامية التي تَسبح في فضاء الدول الإسلامية؛ حتى لا يبني فردٌ هنا ويقوم العشرات بهدم ما تم بناؤه؛ فنصبح كما قال الله تعالى: ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ [النحل: ٩٢].

ومن هذه الإجراءات:

أولاً: العمل على إصلاح الهياكل الإدارية والمالية للمؤسسات الإعلامية في البلدان الإسلامية وتطويرها بما يضمن لها الاستقلالية في استقاء الأخبار والمعلومات، من خلال شبكة المراسلين والمندوبين المنتمين لهذه

المؤسسات، لتقليل الاعتماد على المؤسسات الإعلامية الغربية في استقاء المعلومات والأخبار، والحد من ظاهرة الاختلال في التدفق الإعلامي لصالح الشمال على حساب الجنوب.

ثانياً: الحفاظ على الهوية الإسلامية في وسائل إعلامنا، ليس فقط بكثرة الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ولكن بتمثُّل القيم الإسلامية في المظهر، وتحري الدقة والصدق، وتجنُّب الخداع والكذب والمراوغة، والتحلي بالمسؤولية حين تقديم المضامين الإعلامية المختلفة.

ثالثاً: ضرورة أن تتبنى وسائل الإعلام في البلدان الإسلامية قضايا التنمية، حيث أكدت دراساتُ علماء الاتصال؛ على وجود علاقة إيجابية بين الإعلام والتنمية، منها دراسة أجراها (ولبر شرام) على ١٠٠ دولة من الدول النامية لإلقاء الضوء على العلاقة بين الاتصال الجماهيري والتنمية؛ وتوصل إلى أن مُعامل الارتباط بين النشاط التنفيذي لوسائل الإعلام وبين نتائج تنفيذ خطط التنمية؛ وصل إلى ٧٢٪، وكان من الممكن زيادة هذه النسبة لولا وجود عددٍ من العوامل السلبية التي تَحول دون تنفيذ خطط التخطيط الإعلامي والتخطيط للتنمية بالدقة المطلوبة، وهذه العوامل السلبية أضعفت مستوى الارتباط وقللت نسبته إلى ٧٢٪[١].

رابعاً: ضرورة الاهتمام بالمشاريع الثقافية التي تهدف إلى زيادة المحتوى العربي على الإنترنت، حيث إن المحتوى العربي فقط من التراث وكتب ومؤلفات السابقين؛ كفيلٌ بأن تزيد نسبة الوجود العربي على الإنترنت، كما ينبغي تشجيع المبادرات العربية لزيادة المحتوى الجيد في الشبكة.

---

(١) فاطمة فيصل العتيبي، الإعلام والتعليم شركاء في التنمية، المؤتمر الدولي الأول للتربية الإعلامية (الرياض، ١٤ من صفر، ١٤٢٨هـ).

خامساً: ضرورة الاهتمام بالمؤسسات الداعمة للفكر والثقافة في المجتمع، وتسليط الأضواء الإعلامية عليها لشرح وتحليل ما تقدّمه لنماء المجتمع ثقافياً ومعرفياً، بدلاً عن تَصَدُّر المغنيين والممثلين والرياضيين للمشهد الإعلامي، مع ضرورة تقديم النماذج الناجحة والجيدة للشباب والنشء، وتعزيز قيم العمل والنجاح والعلم والابتكار والإبداع.

سادساً: قيام منظمات المجتمع المدني بوضع تقارير دورية عن مدى التزام المؤسسات الإعلامية بضوابط العمل الإعلامي، ونشر قائمة بالصحف والمحطات الإذاعية والتليفزيونية التي انتهكت هذه الضوابط ليكون خصماً من رصيدها لدى الجماهير.

سابعاً: تجريم المواقع والصحف الإباحية ومنع الدخول إليها أو توزيعها داخل بلدان العالم الإسلامي، لتعارُض ذلك مع القيم والثقافة الإسلامية التي ترفض تحويل البشر إلى مخلوقات تحركها الغرائز الجنسية.

ثامناً: وضع آليةٍ خاصة لمراقبة الإعلانات التجارية في المجتمع ومؤسساته، تمنع تَعرُّض المرأة للامتهان الجسدي على يد أباطرة الإعلانات، أو استغلال بعض فئات المجتمع لتحقيق مكاسب مادية.

النتائج العامة للدراسة:

استهدفت هذه الدراسةُ؛ البحثَ في إشكالية العلاقة بين الإعلام والثقافة، والتعرف على التأثير المتبادل بينهما، والتعرف على حقيقة اتهام الإعلام بقنواته الفضائية وصحفه ومحطاته وكذا الإعلام الإلكتروني أو الإعلام الجديد؛ بالإسهام في خَلق أزمة ثقافية في بلدان العالم الإسلامي، ومن ثَم التعرف على الأدوار الإيجابية التي يمكن أن يؤديها الإعلام للخروج من الأزمة الثقافية والإسهام في التنمية الثقافية في بلدان العالم الإسلامي.

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها:

أولاً: أن الأمة الإسلامية تمتلك تراثًا ثقافيًا غنيًا خَصبًا يستمد ثراءه من الدين، ويستلهم منه القيم الأصيلة، وأن أعظم ما تتميز به الثقافة الإسلامية: قدرتها على العطاء في أي جانب من جوانب الحياة.

ثانيـًا: أن هناك معضلة ثقافية وفكرية في العالم الإسلامي، وأن الحالة الثقافية الراهنة في البلدان الإسلامية؛ يعتريها الكثير من مظاهر الضعف أمام محاولات الاختراق والهيمنة والغزو، ذلك لأن فضاءنا الثقافي به الكثير من مساحات الفراغ الذي يسمح للآخرين بأن يتمددوا فيه، بسبب ضعف إسهام المسلمين في الحضارة الحديثة المعاصرة.

ثالثـًا: أن أبرز التحديات الثقافية التي تواجه المسلمين: تحدي الهوية، فالهوية الإسلامية غائبة عن مظاهر الحياة المعاصرة، وعن الكثير من الوسائل الإعلامية التي تَصدر أو تُبث من بلاد المسلمين.

رابعـًا: هناك عدد من التحديات التي تواجه مكونات الثقافة الإسلامية، منها: الهجوم على القرآن والسنة، والهجوم على التراث الإسلامي، وعلى اللغة العربية، بالإضافة إلى محاولات التغريب والغزو الفكري والثقافي وعولمة الثقافات، ومحاولة تنميطها في ثقافة واحدة هي الثقافة الغربية.

خامسـًا: خلَصت الدراسة إلى التسليم بوجود أزمة ثقافية في المجتمعات الإسلامية في العصر الراهن، وأن هناك عدة عوامل أسهمت في إحداثها؛ منها سياسي، واقتصادي، واجتماعي، وبعضها يرجع إلى الأداء السلبي لوسائل الإعلام وتأثيراته السلبية علي ثقافة المجتمع.

سادسـًا: أن جانبـًا كبيـراً مـن جوانـب الأزمـة الثقافيـة تسـببت فيهـا بعـضُ الممارسات الإعلامية، أبرزها: الاعتماد على الوكالات الغربية في استقاء الأنباء والمعلومات، ونشر المواد المنتَجة غربيـًا والتي تتضـمن تسـويقـًا للقـيم الغربيـة المخالفة للثقافة الإسـلامية، وكـذلك محاكـاة الـبرامج الأمريكيـة والأوروبيـة في العالم الإسلامي، والتي تنطوي على الكثير من القيم السلبية.

سابعـًا: أن كثيراً من الإعلانـات بشـكل عـام - وبخاصـة في التلفـاز- تمـتهن المرأة جسديـًا، وتخالف القيم الأخلاقية والثقافية في الدول الإسلامية.

ثامنـًا: أن شبكة الإنترنت رغم إمكاناتها الهائلة التي تخدم الثقافة الإسلامية؛ إلا أن كثيراً من مستخدميها في العالم الإسلامي يوظفونها بشكل خـاطئ، وأبـرز الإشكالات في الإنترنت: انتشار المضمون الإباحي، وضعف المحتوى العربي، وسهولة الإساءة للدين الإسلامي والثقافة الإسلامية.

تاسعـًا: أن وسائل الإعـلام في العـالم الإسـلامي؛ بإمكانهـا أن تضـطلع بـدور مهـم في إحـداث نهضـة ثقافيـة وفكريـة بهـا، تبـدأ مـن تبَنِّيهـا للخطـط التنمويـة والمستقبلية، مـروراً بتقـديم النمـاذج الناجحـة في المجتمـع الإسـلامي، وانتهـاء بالتعـاون بينهـا وبـين منظمـات المجتمـع المـدني لوضـع آليـة محـددة للالتـزام بمواثيـق الشـرف الإعلاميـة والأخلاقيـة، بهـدف الحفـاظ علـى ثقافـة المجتمـع وثوابته.

توصيات الدراسة:

انطلاقًا من النتائج السابقة؛ توصي الدراسة بما يلي:

أولاً: دعوة الإعلاميين والمؤسسات الإعلامية في بلدان العالم الإسلامي في مجال الصحافة والمذياع والتلفاز والإنترنت؛ للالتزام بأسس الثقافة الإسلامية، والحرص على ذلك في الشكل والمضمون.

ثانيـًا: ضرورة أن تتبنى وسائل الإعلام في العالم الإسلامي؛ المشاريع الفكرية والثقافية، وتحشد الطاقات البشرية لها، وأن تتبنى المشاريع التنموية، حيث إنها القضية التي تُبنى عليها كل نهضة ثقافية وفكرية.

ثالثـًا: ضرورة أن تقوم المنظمات الدولية والمحلية ذات الصلة بالشأن الثقافي؛ بإصدار تقارير دورية موضوعية وذات مصداقية، وعلى أسس علمية ومهنية؛ عن الحالة الإعلامية، وتحديد قوائم المؤسسات الإعلامية التي تتجاوز الخط الثقافي للمجتمع الإسلامي، وكشفها أمام الرأي العام.

رابعـًا: تشجيع المبادرات الفردية والجماعية لزيادة المحتوى العربي الهادف على شبكة الإنترنت، وضرورة أن تتبنى المؤسسات الدولية والإقليمية والمحلية هذه المبادرات.

خامسـًا: إقامة العديد من المؤتمرات والندوات العلمية التي تحدد ملامح المشروع الثقافي والفكري الذي يمكن تطبيقه في البلدان الإسلامية، واستضافة الإعلاميين وكبار المستثمرين في مجال الإعلام، للوقوف على مسؤولياتهم تجاه الأمة التي ينتسبون إليها.